# تفسير سورةُ الحج
# من آية (25) إلى آية (30)
# اللقاء الرابع

**المعنى الإجمالي من آية (14) إلى آية (24):**

قولُ الله تعالى: إنَّ اللهَ يُدخِلُ الذين آمَنوا باللهِ ورَسولِه، وعَمِلوا الصَّالحاتِ، جَنَّاتٍ تَجري مِن تَحتِ أشجارِها وقُصورِها الأنهارُ، إنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يريدُ. مَن كان يعتَقِدُ أنَّ اللهَ تعالى لن ينصُرَ رَسولَه مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الدُّنيا وفي الآخرةِ، فلْيَمدُدْ حَبلًا إلى سَقفِ بَيتِه، ولْيَخنُقْ به نَفْسَه، ثمَّ لْيَنظُرْ: هل يُذْهِبنَّ ذلك ما يجِدُ في نَفسِه مِن الغَيظِ؛ فإنَّ اللهَ تعالى ناصِرٌ نبيَّه مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومُتِمُّ نُورِه لا محالةَ.

وكما بَيَّنَ اللهُ تعالى الآياتِ السَّابِقةَ وأوضَحَها، أنزَلَ القُرآنَ آياتُه واضِحةٌ في لَفظِها ومَعناها؛ ولأنَّ اللهَ يَهدي بهذا القُرآنِ إلى الحَقِّ مَن يريدُ هِدايَتَه، أنزَلَه آياتٍ بَيِّناتٍ.

إنَّ الذين آمَنوا باللهِ ورُسُلِه، واليَهودَ والصَّابئينَ والنَّصارى والمجوسَ والذين أشرَكوا؛ إنَّ اللهَ يَفصِلُ بينهم جميعًا يومَ القيامةِ، فيُدخِلُ المؤمِنينَ الجَنَّةَ، ويُدخِلُ الكافرينَ النَّارَ، إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ شَهيدٌ، لا يخفى عليه شَيءٌ سُبحانَه.

يقول الله تعالى: ألم تعلَمْ أنَّ اللهَ سُبحانَه يَسجُدُ له خاضِعًا مُنقادًا مَن في السَّمَواتِ مِنَ الملائكةِ، ومَنْ في الأرضِ مِن المخلوقاتِ، والشَّمسُ والقَمَرُ، والنُّجومُ والجِبالُ، والشَّجَرُ والدوابُّ؟ ويَسجُدُ له طاعةً واختيارًا كثيرٌ مِن النَّاسِ، وهم المؤمِنونَ، وكثيرٌ مِن النَّاسِ حَقَّ عليه العذابُ فهو مَهِينٌ، وأيُّ إنسانٍ يُهِنْه اللهُ، فليس له أحَدٌ يُكرِمُه؛ إنَّ اللهَ يَفعَلُ في خَلْقِه ما يشاءُ وَفْقَ حِكمَتِه.

يقولُ تعالى: هذان فَريقانِ اختَلَفوا في شأنِ رَبِّهم وتوحيدِه: أهلُ الإيمانِ وأهلُ الكُفرِ؛ فالذين كَفَروا جُعِلَت لهم ثيابٌ مِن نارٍ يَلْبَسونَها، يُصَبُّ على رُؤوسِهم الماءُ المتناهي في حَرِّه، يُذابُ بهذا الحَميمِ المصبوبِ فَوقَ رُؤوسِ الكُفَّارِ ما في بُطونِهم والجلودُ، وتَضرِبُهم الملائِكةُ على رُؤوسِهم بمَطارِقَ مِن حَديدٍ، كُلَّما حاولوا الخروجَ مِنَ النَّارِ؛ لشِدَّةِ غَمِّهم وكَرْبِهم، أُعيدُوا فيها، وقيلَ لهم: ذُوقُوا عذابَ النَّارِ المحرِقةِ.

يقولُ تعالى: إنَّ اللهَ تعالى يُدخِلُ أهلَ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ جَنَّاتٍ تجري مِن تحتِ أشجارِها وقُصورِها الأنهارُ، يُزَيَّنونَ فيها بأساوِرِ الذَّهَبِ وباللُّؤلؤِ، ولِباسُهم في الجَنَّةِ الحَريرُ، رِجالًا ونساءً. وهداهم اللهُ إلى طَيِّبِ القَولِ، وهداهم إلى طَريقِ اللهِ المحمودِ في أسمائِه وصِفاتِه.

كُلُّ مَا رَأَيتُم في هَذِهِ الدُّنيَا مِن نَعِيمٍ وَمَا لم تَرَوا، وَمَا سَمِعتُم بِهِ وَمَا لم تَسمَعُوا، اِعلَمُوا أَنَّهُ لا يُسَاوِي شَيئًا يُذكَرُ، إِذَا وُضِعَ أَمَامَ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لأَولِيَائِهِ المتَّقينَ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، مِنَ النَّعِيمِ المقِيمِ وَالجَزَاءِ العَظِيمِ،

وَاسمَعُوا إِلى قَولِ اللهِ -تَبارَكَ وَتَعالى- في الحَدِيثِ القُدسِيِّ يَقُولُ سبحانه: "أَعدَدتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَينٌ رَأَت، وَلا أُذُنٌ سَمِعَت، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ".

وَإِذَا أَرَدتُم أَن تَظهَرَ لَكُم عَظَمَةُ ذَلِكَ النَّعِيمِ المقِيمِ قِيَاسًا بِمَتَاعِ الدُّنيَا الحَقِيرِ الزَّائِلِ، فَاسمَعُوا إِلى مَا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا" رَوَاهُ البُخَارِيُّ هَذَا مَوضِعُ سَوطٍ قَد لا يُجَاوِزُ ذِراعًا وَاحِدًا، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ خَيرٌ مِنَ الدُّنيَا كُلِّهَا وَمَا فِيهَا.

أَلا فَمَا أَحقَرَ الدُّنيَا وَأَتفَهَ مَتَاعَهَا وَأَقَلَّهُ؛ وَلِهَذَا كَنتِ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ وَدُخُولُ الجَنَّةِ هُمَا الفَلاحَ العَظِيمَ وَالفَوزَ الكَبِيرَ، قَالَ -سُبحَانَهُ-: (فَمَن زُحزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فَازَ) وَقَالَ -تَعَالى-: (وَعَدَ اللهُ المؤمِنِينَ وَالمؤمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدنٍ وَرِضوَانٌ مِنَ اللهِ أَكبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ) [التوبة:72] وَقَالَ -جَلَّ وَعَلا-: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم جَنَّاتٌ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ ذَلِكَ الفَوزُ الكَبِيرُ) [البروج:11].

وَمِن فَضلِ اللهِ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ أَنَّهَا أَوَّلُ أُمَّةٍ تَدخُلُ الجَنَّةَ، وَأَنَّهَا أَكثَرُ النَّاسِ دُخُولاً فِيهَا، قَالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: "نَحنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَومَ القِيَامَةِ، وَنَحنُ أَوَّلُ مَن يَدخُلُ الجَنَّةَ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ. وَقَالَ فِي الحَدِيثِ المتَّفَقِ عَلَيهِ: "أَرجُو أَن تَكُونُوا نِصفَ أَهلِ الجَنَّةِ"

وَأَمَّا أَوَّلُ مَجمُوعَةٍ تَدخُلُ الجَنَّةَ، فَهُمُ الصَّفوَةُ مِنَ المؤمِنِينَ، قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "أَوَّلُ زُمرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ، صُورَتُهُم عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، لا يَبصُقُونَ فِيهَا وَلا يَمتَخِطُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُم فِيهَا الذَّهَبُ، أَمشَاطُهُم مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُم الأَلُوَّةُ، وَرَشحُهُم المِسكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُم زَوجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِن وَرَاءِ اللَّحمِ مِنَ الحُسنِ، لا اختِلافَ بَينَهُم وَلا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُم قَلبُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكرَةً وَعَشِيًّا" رَوَاهُ البُخَارِيُّ. إِنَّهُمُ السَّابِقُونَ (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ المقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) [الواقعة: 10-12].

إِنَّهُمُ الَّذِينَ حَقَّقُوا التَّوحِيدَ وَتَحَلَّوا بِاليَقِينِ، وَتَخَلَّصُوا مِنَ الشِّركِ بِاللهِ وَالشَّكِّ، وَسَبَقُوا فِي هَذِهِ الدُّنيَا إِلى كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ وَلَم يَتَكَاسَلُوا وَلَم يَتَبَاطَؤُوا وَلَم يَتَخَلَّفُوا، فَكَانَ جَزَاؤُهُم مِن جِنسِ عَمَلِهِم، أن يدخلُوا الجَنَّةَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ.

فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ كما في الحَدِيثِ القُدسِيِّ يَقُولُ سبحانه قالَ: "أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدِي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثم قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُم: (فَلا تَعلَمُ نَفسٌ مَا أُخفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ) [السجدة:17]. صحيح مسلم

وَأَمَّا آخِرُ النَّاسِ دُخُولاً الجَنَّةَ، قَالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- فِي الحَدِيثِ المتَّفَقِ عَلَيهِ: "إِنِّي لأَعلَمُ آخِرَ أَهلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنهَا وَآخِرَ أَهلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخرُجُ مِنَ النَّارِ حَبوًا، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذهَبْ فَادخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ -عَزَّ

وَجَلَّ-: اذهَبِ فَادخُلِ الجَنَّةَ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثلَ الدُّنيَا وَعَشَرَةَ أَمثَالِهَا، أَو إِنَّ لَكَ مِثلَ عَشَرَةِ أَمثَالِ الدُّنيَا، فَيَقُولُ: أَتسخَرُ بِي - أَو أَتضحَكُ بِي - وَأَنتَ المَلِكُ؟ ..." الحَدِيثَ.

اللهُ أَكبَرُ هَذِهِ حَالُ آخِرِ دَاخِلٍ لِلجَنَّةِ وَذَاكَ مُلكُهُ، لَهُ مِثلُ الدُّنيَا وَعَشَرَةُ أَضعَافِهِ، فَكَيفَ سَيَكُونُ حَالُ السَّابِقِينَ وَمَاذَا سَيُعطَونَ؟!

إِنَّ الحَدِيثَ عَنِ الجَنَّةِ لا تُوَفِّيهِ حَقَّهُ كَلِمَاتٌ وَلَو كَثُرَت، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وَكَيفَ يُقدَرُ قَدرُ دَارٍ غَرَسَهَا اللهُ بِيَدِهِ، وَجَعَلَهَا مَقَرًّا لأَولِيَائِهِ وَأَحبَابِهِ، وَمَلأَهَا مِن رَحمَتِهِ وَكَرَامَاتِهِ وَرِضوَانِهِ، وَوَصَفَ نَعِيمَهَا بِالفَوزِ العَظِيمِ، وَمُلكَهَا بِالمُلكِ الكَبِيرِ، وَأَودَعَهَا جَمِيعَ الخَيرِ بِحَذَافِيرِهِ، وَطَهَّرَهَا مِن كُلِّ عَيبٍ وَآفَةٍ وَنَقصٍ، أَرضُهَا وَتُربَتُهَا مِسكٌ وَزَعفَرَانٌ، وَسَقفُهَا عَرشُ الرَّحمَنِ، وَحَصبَاؤُهَا اللُّؤلُؤُ وَالجَوهَرُ، وَبِنَاؤُهَا لَبِنَةٌ مِن فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِن ذَهَبٍ، مَا فِيهَا شَجَرَةٌ إِلاَّ وَسَاقُهَا مِن ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَثَمَرُهَا أَمثَالُ القِلالِ، أَلَيَنُ مِنَ الزُّبدِ، وَأَحلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَنهَارُهَا أَنهَارٌ مِن لَبَنٍ لم يَتَغَيَّرْ طَعمُهُ، وَأَنهَارٌ مِن خَمرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنهَارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى، وَطَعَامُ أَهلِهَا فَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحمِ طَيرٍ مِمَّا يَشتَهُونَ ، وَشَرَابُهُم التَّسنِيمُ وَالزَّنجَبِيلُ وَالكَافُورُ، وَآنِيَتُهُم مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ فِي صَفَاءِ القَوَارِيرِ، مَا بَينَ المِصرَاعَينِ مِن مَصَارِيعِ البَابِ مِن أَبوَابِهَا مَسِيرَةُ أَربَعِينَ عَامًا، فِيهَا شَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ، يَسِيرُ الرَّاكِبُ المِجِدُّ السَّرِيعُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لا يَقطَعُهَا، أَمَّا وُجُوهُ أَهلِهَا وَحُسنُهُم فَعَلَى صُورَةِ القَمَرِ، وَأَمَّا أَسنَانُهُم فَأَبنَاءُ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ، عَلَى صُورَةِ آدَمَ - عَلَيهِ السَّلامُ - أَبِي البَشَرِ، حُلِيُّهُم أَسَاوِرُ الذَّهَبِ وَاللُّؤلُؤُ، يَطُوفُ عَلَيهِم غِلمَانٌ مُخَلَّدُونَ، كَأَنَّهُم لُؤلُؤٌ مَكنُونٌ، وَأَمَّا عَرَائِسُهُم وَأَزوَاجُهُم فَهُنَّ الكَوَاعِبُ الأَترَابُ، اللاَّتِي جَرَى فِي أَعضَائِهِنَّ مَاءُ الشَّبَابِ، يُرَى مُخُّ سَاقِ إِحدَاهُنَّ مِن وَرَاءِ اللَّحمِ، كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرجَانُ، لم يَطمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبلَهُم وَلا جَانٌّ، وَلَو اطَّلَعَت إِحدَاهُنَّ عَلَى الدُّنيَا لَمَلأَت مَا بَينَ الأَرضِ وَالسَّمَاءِ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا -أَي خِمَارُهَا- عَلَى رَأسِهَا خَيرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا فِيهَا، مُبَرَّأَةٌ مِنَ الحَبَلِ وَالوِلادَةِ وَالحَيضِ وَالنِّفَاسِ، مُطَهَّرَةٌ مِنَ المِخَاطِ وَالبُصَاقِ وَالبَولِ وَالغَائِطِ وَسَائِرِ الأَدنَاسِ، فِي الجَنَّةِ... نَعِيمٌ وَعَافِيَةٌ، وَعِيشَةٌ رَاضِيَةٌ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، وَعَينٌ جَارِيَةٌ، وَسُرُرٌ مَرفُوعَةٌ، وَأَكوَابٌ مَوضُوعَةٌ، وَنَمَارِقُ مَصفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبثُوثَةٌ، فِي الجَنَّةِ... لا يَفنَى الشَّبَابُ، وَلا تَبلَى الثِّيَابُ، بل يَزدَادُ الحُسنُ وَالجَمَالُ، وَلا يُمَلُّ اللِّقَاءُ وَالوِصَالُ، قَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقًا يَأتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحثُو فِي وُجُوهِهِم وَثِيَابِهِم، فَيَزدَادُونَ حُسنًا وَجَمَالاً، فَيَرجِعُونَ إِلَى أَهلِيهِم وَقَدِ ازدَادُوا حُسنًا وَجَمَالاً، فَتَقُولُ لَهُم أَهلُوهُم: وَاللهِ لَقَدِ ازدَدتُم بَعدَنَا حُسنًا وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنتُم وَاللهِ لَقَدِ ازدَدتُم بَعدَنَا حُسنًا وَجَمَالاً" رَوَاهُ مُسلِمٌ.

وَأَمَّا أَعظَمُ نَعِيمٍ يَنَالُهُ أَهلُ الجَنَّةِ، وَلا نَعِيمَ أَعظَمُ مِنهُ فَهُوَ نَظَرُهُم إِلَى وَجهِ اللهِ - تَعَالَى - قَالَ - سُبحَانَهُ -: (لِلَّذِينَ أَحسَنُوا الحُسنَى وَزِيَادَةٌ) وَفِي صَحِيحِ مُسلِمٍ أَنَّهُ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ -قَالَ- يَقُولُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُم فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعطُوا شَيئًا أَحَبَّ إِلَيهِم مِنَ

النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ -عَزَّ وَجَلَّ-" فَيَا قُرَّةَ عُيُونِ الأَبرَارِ بِالنَّظَرِ إلى وَجهِ الكَرِيمِ في الدَّارِ الآخِرَةِ! (وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [القيامة:22-23]. "وصف الجنة وشيء من نعيمها: عبد الله بن محمد البصري"

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ مَرْفُوعًا: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَغْدُونَ فِي حُلَّةٍ، وَيَرُوحُونَ فِي حُلَّةٍ أُخْرَى كَغُدُوِّ أَحَدِكُمْ وَرَوَاحِهِ إِلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا، كَذَلِكَ يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ لَهُمْ بِمَقَادِيرَ، وَمَعَالِمَ يَعْلَمُونَ تِلْكَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتُونَ فِيهَا رَبَّهُمْ، عَزَّ وَجَلَّ)).

قال -ﷺ- : "إنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا دخلوها نزلوا فيها بفضلِ أعمالِهم فيُؤذَنُ لهم في مقدارِ يومِ الجمعةِ من أيَّامِ الدُّنيا فيزورون اللهَ عزَّ وجلَّ ويبرُزُ لهم عرشُه ويتبدَّى لهم في روضةٍ من رياضِ الجنَّةِ فتُوضَعُ لهم منابرُ من نورٍ ومنابرُ من لؤلؤٍ ومنابرُ من ياقوتٍ ومنابرُ من زبرجدٍ ومنابرُ من ذهبٍ ومنابرُ من فضَّةٍ ويجلِسُ أدناهم وما فيهم دنيءٌ على كُثبانِ مِسكٍ وكافورٍ وما يرَوْن أنَّ أصحابَ الكراسيِّ أفضلَ منهم مجلِسًا ، قال أبو هريرةَ : قلتُ يا رسولَ اللهِ هل نرَى ربَّنا ؟ قال : نعم هل تتمارَوْن في رؤيةِ الشَّمسِ والقمرِ ليلةَ البدرِ ؟ قلنا: لا قال -ﷺ-: كذلك لا تتمارَوْن في رؤيةِ ربِّكم عزَّ وجلَّ ولا يبقَى في ذلك المجلس أحدٌ إلَّا حاضره اللهُ تعالَى مُحاضرةً حتَّى إنَّه ليقولُ الرَّجلُ ألا تذكُرُ يا فلانُ يومَ عمِلتَ كذا وكذا يُذكِّرُه بعضَ غدَراتِه في الدُّنيا فيقولُ يا ربِّ ألم تغفِرْ لي؟ فيقولُ بلَى فبسعةِ مغفرتي بلغتَ منزلتَك هذه، فبينما هم كذلك غشِيتهم سَحابةٌ من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجِدوا مثلَ ريحِه شيئًا قطُّ ثمَّ يقولُ ربُّنا تبارك وتعالَى قوموا إلى ما أعددتُ لكم من الكرامةِ فخُذوا ما اشتهيتم" [الزواجر- الدرر السنية]

فيا راغبًا في الجنان وطالبًا رضا الرحمن:

يا خاطبَ الحُور الحسان وطالباً *** لوِصَالهن بجنّةِ الحَيوانِ

لو كُنتَ تَدري مَنْ خَطبتَ ومَنْ طلب *** تَ بَذلتَ ما تَحوي مَنِ الأثمانِ

أو كُنتَ تَدري أين مَسكنُها جَعل *** تَ السَّعيَ منك لها على الأجْفانِ

ولقد وَصفْتُ طريقَ مَسكنِها فإنْ *** رُمتَ الوِصَالَ فلا تكُن بالوانِ

أَسْرِعْ وحُثَّ السيرَ جَهدكَ إنما *** مَسراكَ هذا ساعةٌ لزمانَ

فاعشقْ وجَدّثْ بالوِصَال النَّفسَ واب *** ذُل مَهرَها ما دُمتَ ذا إمكانِ

واجْعلْ صِيامكَ قبلَ لُقياها ويو *** مَ الوَصل يومَ الفِطر مِنْ رمضانِ

واجْعل نُعوتَ جَمالها الحَادي وَسِر *** تلقَ المخاوفَ وهي ذات أمانِ

أختي الحبيبة ألا تشتاقين لها؟؟ ألا تريدين الوصول إليها؟؟ لا شك بأننا كلنا نسعى لرضا الرحمن والفوز بالجنان فسلعة الله غاليــة، قال -ﷺ-: "من خافَ أدلجَ، ومن أدلجَ بلغَ المنزلَ، ألا إنَّ سلعةَ اللَّهِ غاليةٌ، ألا إنَّ سلعةَ اللَّهِ الجنَّةُ". صحيح الترمذي

فمَنْ أرادها فلا بُدَّ له من السَّعي والتَّشميرِ لأَجْلِ الظَّفَرِ بها؛ فجَنَّةُ اللهِ لا تُنالُ بالأماني ولا بالتَّمنّي، ولكِنْ بالعملِ والاجْتِهادِ، فالطريق طويل وشاق ...لكن له لذة وحلاوة نجدها في قلوبنا ونستشعرها في

أعمالنا، قال الله تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ [النساء:124]، فلنشمر ولنجتهد، ونعمل ليلاً نهاراً، لنفوز فوزا عظيماً جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.

والجنة درجاتٌ بعضها فوق بعض، قال الله تعالى:﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾[طه: 75، 76].

قال -ﷺ- فقد ثبت عنه أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ"(متفق عليه).

ودرجات الجنة وتفاوت الناس فيها كبير، قال الله -تعالى-: (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً)[الإسراء:21]؛ قال السعدي: "فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجهٍ من الوجوه.. فكم بين من هو في الغرف العاليات واللذات المتنوعات، والسرور، والخيرات، والأفراح.. ممن هو يتقلب في الجحيم ويعذب بالعذاب الأليم.. وقد حل عليه سخطُ الربِ الرحيم..".

وكلٌ من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكنُ أحدًا عدّه.. وقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ -أي يتكلفون النظر لأصحاب المنازل العالية-، مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ"؛ -لبعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة- قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ "بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ"(متفق عليه).

ومن أسباب رِفعة الدرجات في الجنة:

العلم: وهو من السبل العظيمة في الإسلام لرفعة الدرجات، قال الله -تعالى-: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[المجادلة:11]، يقول الطبري -رحمه الله تعالى-: "يرفع الله -تعالى- الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به".

كثرةُ السجود، فقد روى مسلم عنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ-، قَالَ: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ للهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» [رواه مسلم].

ومن أسباب رِفعة الدرجات في الجنة إتمام الوضوء، والصلاة في المسجد جماعةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟"، قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ» [رواه مسلم].

❍ومن أسباب رِفعة الدرجات في الجنة كثرة قراءة القرآن، قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» [السلسلة الصحيحة].

❍ومما يرفع الدرجات في الجنات: نزول البلاء بالعبد؛ مِنْ مَرَضٍ أَوْ وَجَعٍ أَوْ نَكْبَةٍ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا أو آلام في جسده، قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: "مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً"[رواه مسلم].

❍ومما يرفع الدرجات: الصلاة على النبي -ﷺ- وهي قُربة عظيمة وفي ملازمتها أجور كبيرة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ"(رواه النسائي وقال الألباني صحيح).

❍ومما يرفع الدرجات في الجنات: الكلمة الطيبة، أما الكَلِمَةُ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ فتكون سببًا يَهْوِي بِهَا قائلها فِي جَهَنَّمَ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ "(متفق عليه).

❍ومما يرفع الدرجات: حُسن الخُلق، قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: "مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ"[رواه الترمذي].

فليلزم كلٌّ منا هذا الدعاء الذي علمنا رسول الله-ﷺ- :(وأسألُكَ الجنةَ وما قرَّبَ إليها مِنْ قولٍ أوْ عملٍ، وأعوذُ بكَ منَ النارِ وما قرَّبَ إليها منْ قولٍ أوْ عملٍ).

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾﴿25﴾**

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: أنَّ اللهَ تعالى بعدَ أن فَصَل بينَ الكُفَّارِ والمؤمنينَ؛ ذَكَرَ عِظَمَ حُرمةِ البَيتِ، وعِظَمَ كُفرِ هؤلاء

**(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ)** أي: إنَّ الذين كَفَروا باللهِ، ويَمنَعونَ النَّاسَ مِن الدُّخولِ في دينِه، ومِنَ المسجِدِ الحرامِ -الذي ليس مِلكًا لهم ولا لآبائِهم، بل جعَلْناه للمُؤمِنينَ كافةً سَواءً المقيمُ منهم فيه والقادِمُ إليه، فهم يستَوون في تعظيمِه وأحقيَّةِ أداءِ العباداتِ وإقامةِ الشَّعائِرِ فيه - أولئك الذين كَفَروا نُذيقُهم مِن عذابٍ مُؤلِمٍ مُوجِعٍ.

موسوعة التفسير

❁العاكِفُ فيه، أي: المستقِرُّ في المسجِدِ، والبادي، أي: البعيدُ عنه إذا دخلَهُ.

قال الشنقيطي: (اعْلَمْ أنَّ خبرَ إنَّ في قولِه هنا: إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا محذوفٌ كما ترَى. وَالَّذي تَدُلُّ عليه الآيةُ أنَّ التَّقديرَ: إنَّ الَّذينَ كفروا ويصُدُّونَ عن سبيلِ اللهِ، نُذيقُهم مِن عذابٍ أَلِيمٍ. كما دَلَّ على هذا قولُه في آخِرِ الآيةِ: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وخيرُ ما يُفَسَّرُ به القرآنُ القرآنُ).

(وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) أي: ومَنْ يَهُمَّ أن يَميلَ ويَحيدَ في المسجِدِ الحَرامِ عن الحَقِّ، ويَنحَرِفَ عن الاستِقامةِ بارتِكابِ ظُلمٍ-وهو قاصِدٌ لذلك- نُذِقْه مِن عذابٍ مُؤلِمٍ مُوجِعٍ. موسوعة التفسير

❁ بِإِلْحَادٍ: أي: ظُلمٍ ومَيلٍ عن الحَقِّ، وأصلُ (لحد): يدُلُّ على مَيلٍ عن استِقامةٍ.

وقال القرطبيُّ: (هذا الإلحادُ والظلمُ يَجمع جميعَ المعاصي من الكُفر إلى الصغائر، فلِعِظَمِ حُرمة المكان توعَّدَ الله تعالى على نيَّة السيِّئة فيه، ومَن نوَى سيِّئة ولم يَعملْها لم يُحاسَبْ عليها إلا في مكَّة؛ هذا قولُ ابن مسعودٍ وجماعةٍ مِن الصحابة وغيرِهم).

وقال ابنُ كثير: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ، أي: يَهُمُّ فيه بأمرٍ فظيعٍ من المعاصي الكِبار. وقوله: بِظُلْمٍ، أي: عامدًا قاصدًا أنَّه ظُلْمٌ، ليس بمتأوَّل... وقال مجاهدٌ: بِظُلْمٍ: يعمل فيه عملًا سيِّئًا. وهذا من خُصوصية الحرَم، أنه يُعاقَبُ البادي فيه الشرَّ، إذا كان عازمًا عليه، وإنْ لم يُوقِعْه... ولهذا لَمَّا همَّ أصحابُ الفيل على تخريب البيت أرسلَ الله عليهم (طيرًا أبابيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) [الفيل: 4- 5]، أي: دمَّرهم وجعَلهم عبرةً ونكالًا لكلِّ مَن أراده بسوءٍ).

قال ابن مسعود: بأن من همّ بالمعصية في مكة، وهو في مكان أبعد من عدن، أذاقه الله العذاب الأليم.

قال الشنقيطي: (الظاهرُ أنَّ الضميرَ في قولِه: فِيهِ راجعٌ إلى المسجدِ الحرامِ، ولكنَّ حكمَ الحرمِ كلِّه في تغليظِ الذنْبِ المذكورِ كذلك).

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: قال رَسولُ اللهِ -ﷺ-: ((يغزو جَيشٌ الكَعبةَ، فإذا كانوا بِبَيداءَ (بُقعةٍ ومفازةٍ واسعةٍ منها) مِن الأرضِ يُخسَفُ بأوَّلِهم وآخِرِهم. قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، كيف يُخسَفُ بأوَّلِهم وآخِرِهم، وفيهم أسواقُهم (الرَّعايا) ومَن ليس منهم؟ قال: يُخسَفُ بأوَّلِهم وآخِرِهم، ثُمَّ يُبعَثونَ على نيَّاتِهم)) رواه البخاري

قال ابن القيم: في هذه الآيةِ الكَريمةِ وُجوبُ احترامِ الحَرَمِ، وشِدَّةِ تَعظيمِه، والتَّحذيرُ مِن إرادةِ المعاصي فيه وفِعْلِها، فالسَّيِّئةُ في الحَرَمِ أعظَمُ منها في غَيرِه، والهَمُّ بها فيه مأخوذٌ به. فمِن خَواصِّ الحَرَمِ أنَّه يُعاقَبُ فيه على الهَمِّ بالسَّيِّئاتِ، وإنْ لم يفعَلْها.

المعصِيةُ في مكانٍ فاضلٍ أعظَمُ مِنَ المعصيةِ في مكانٍ مَفضولٍ؛ ولهذا قال الله تعالى: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.

قال ابن عثيمين: إنْ قال قائلٌ: وهل تُضاعَفُ السَّيِّئاتُ في الأمكِنةِ الفاضِلةِ والأزمِنةِ الفاضِلةِ؟ فالجوابُ: أمَّا في الكَمِّيةِ فلا تُضاعَفُ؛ لِقَولِه تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [الأنعام: 160]، لكِنْ قد تُضاعَفُ السَّيِّئةُ في مكَّةَ مِن حَيثُ الكَيفيَّةُ، بمعنى أنَّ العقوبةَ تكونُ أشدَّ وأوجعَ.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾﴿26﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال أبو حيان: لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى حالَ الكُفَّارِ، وصَدَّهم عن المسجِدِ الحرامِ، وتوعَّدَ فيه مَن أراد فيه بإلحادٍ؛ ذَكَرَ حالَ أبيهم إبراهيمَ، وتَوبيخَهم على سُلوكِهم غيرَ طَريقِه مِن كُفرِهم باتِّخاذِ الأصنامِ، وامتِنانَه عليهم بإيفادِ العالَمِ إليهم

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا) أي: واذكُرْ -يا مُحَمَّدُ- حينَ هَيَّأْنا لإبراهيمَ مَكانَ الكَعبةِ، وأنزَلْناه فيه، وعرَّفْناه بالموضِعِ الذي يَبني فيه الكَعبةَ، وقُلْنا له: لا تُشرِكْ بالله شَيئًا في عبادَتِه، وأخلِصْ أعمالَك كُلَّها للهِ وَحْدَه، وابنِ هذا البَيتَ على اسْمِ اللهِ وَحْدَه. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: (هذا فيه تقريعٌ وتوبيخٌ لِمن عَبَد غيرَ اللهِ وأشرك به مِن قُرَيشٍ في البُقعةِ التي أُسِّسَت مِن أوَّلِ يومٍ على توحيدِ اللهِ وعبادتِه وَحْدَه لا شريكَ له).

وقال الشنقيطي: (وذهَبَت جماعةٌ مِن أهلِ العِلمِ إلى أنَّ أوَّلَ مَن بناهُ إبراهيمُ، ولم يُبْنَ قَبْلَه. وظاهِرُ قَولِه حين ترك إسماعيلَ وهاجَرَ في مكَّةَ: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [إبراهيم: 37] يدُلُّ على أنَّه كان مَبنيًّا واندرَسَ، كما يدُلُّ عليه قَولُه هنا مَكَانَ الْبَيْتِ [الحج: 26]؛ لأنَّه يدُلُّ على أنَّ له مكانًا سابقًا كان معروفًا. والله أعلم).

كما قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) [آل عمران: 96- 97].

(وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) أي: وطَهِّرْ -يا إبراهيمُ- بَيتيَ للطَّائِفينَ حَوْلَه، وللقائِمينَ في صلاتِهم، والرَّاكِعينَ السَّاجِدينَ في صَلاتِهم عِندَه، بتَنزيهِه مِن كُلِّ ما لا يَليقُ به مِنَ الشِّركِ والكُفرِ، والبِدَعِ والمعاصي، والقبائِحِ وجَميعِ النَّجاساتِ الحسِّيَّةِ والمعنَويَّةِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: (فهؤلاء لهم الحقُّ، ولهم الإكرامُ، ومِن إكرامِهم تطهيرُ البيتِ لأجْلِهم، ويدخلُ في تطهيرِه: تطهيرُه مِن الأصواتِ اللاغيةِ والمرتفعةِ التي تشوِّشُ المتعبِّدِين بالصلاةِ والطوافِ).

قال ابن القيم: عُلِّقت القلوبُ على محبَّةِ الكعبةِ: البيتِ الحرامِ، حتى استطاب المحبُّونَ في الوصولِ إليها هجرَ الأوطانِ والأحبابِ، ولَذَّ لهم فيها السَّفرُ الذي هو قطعةٌ مِن العذاب، فركِبوا الأخطارَ، وجابُوا المفاوِزَ والقِفارَ، واحتملوا في الوصولِ غايةَ المشاقِّ، ولو أمكنهم لسَعَوا إليها على الجفونِ والأحداقِ: نعمْ أسعَى إليكَ على جُفوني وإنْ بَعُدت لمسراكَ الطريقُ، وسِرُّ هذه المحبَّةِ هي إضافةُ الرَّبِّ سُبحانَه له إلى نَفْسِه بقَولِه: وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ؛ قال السعدي: فقد أضافه الرحمنُ إلى نفْسِه، ولتَعظُمَ محبَّتُه في القلوب، وليكونَ أعظمَ لتطهيرِه وتعظيمِه؛ لكونِه بيتَ الرَّبِّ، للطائفينَ به، والعاكفينَ عنده، المقيمينَ لعبادةٍ من العباداتِ؛ مِن ذكرٍ، وقراءةٍ، وتعلُّمِ عِلمٍ وتعليمِه، وغير ذلك من أنواعِ القُرَبِ.

قال ابن تيمية: يُؤخَذُ مِن هذه الآيةِ الكريمةِ: أنَّه لا يَجوزُ أن يُترَكَ عند بَيتِ اللهِ الحَرامِ قَذَرٌ مِنَ الأقذارِ، ولا نَجَسٌ مِنَ الأنجاسِ المعنويَّةِ ولا الحِسِّيَّةِ، فلا يُترَكُ فيه أحَدٌ يَرتَكِبُ ما لا يُرضي اللهَ، ولا أحَدٌ يُلَوِّثُه بقَذَرٍ مِن النَّجاساتِ، فقوله: وَطَهِّرْ يَعُمُّ تطهيرَه مِن النَّجاسةِ الحِسِّيَّةِ، ومِن الكُفرِ والمعاصي والأصنامِ.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾﴿27﴾

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا) أي: وأَعْلِمْ -يا إبراهيمُ- النَّاسَ بوُجوبِ الحَجِّ عليهم، ونادِ فيهم أنْ حُجُّوا أيُّها النَّاسُ بيتَ اللهِ؛ يأتُوا إليك مُشاةً على أرجُلِهم، مُلَبِّينَ نداءَك، حاجِّينَ بَيتَ اللهِ الحرامِ. موسوعة التفسير

قال ابن كثير في تفسيرها: أي ناد في الناس داعياً لهم إلى الحج إلى البيت الذي أمرناك ببنائه، فذكر أنه قال: يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل على الحجر، وقيل على الصفا، وقيل على أبي قبيس (جبل قريب من الكعبة)، وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك.

قال ابن عثيمين: ينبغي للإنسانِ أنْ يَستَحضِرَ أنَّه في مجيئِه إلى مكَّةَ وإحرامِه، أنَّه إنما يفعَلُ ذلك تلبيةً لدُعاءِ الله؛ قال الله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، فالأذانُ بأمْرِ الله يُعتبرُ أذانًا مِن اللهِ، فإذا كان اللهُ هو الذي أذَّنَ، فأنا أجيبُه وأقولُ: «لَبَّيك اللهُمَّ لَبَّيك».

قال ابن عاشور: إنَّما قال: يَأْتُوكَ وإن كانوا يأتونَ الكَعبةَ؛ لأنَّ المناديَ إبراهيمُ، فمَن أتَى الكَعبةَ حاجًّا، فكأنَّما أتى إبراهيمَ؛ لأنَّه أجاب نِداءَه، وفيه تَشريفُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، وقيل: تعليقُ فعل يَأْتُوكَ بضميرِ خطابِ إبراهيمَ، فيه دلالةٌ على أنَّه كان -في حياتِه- يحضرُ موسمَ الحجِّ كلَّ عامٍ، يبلِّغ للناسِ التوحيدَ، وقواعدَ الحنيفيةِ.

(وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) أي: وراكِبينَ على الرَّواحِلِ التي هُزِلَت أبدانُها مِن طُولِ السَّفَرِ ومَشقَّتِه، والتي تأتي مِن كُلِّ طَريقٍ ومَكانٍ واسِعٍ بَعيدٍ. موسوعة التفسير

قال ابنُ جزي: (الضامرُ يُرادُ به كلُّ ما يُركبُ؛ مِن فرَسٍ، وناقةٍ، وغيرِ ذلك، وإنَّما وصَفه بالضمورِ؛ لأنَّه لا يصلُ إلى البيتِ إلَّا بعدَ ضمورِه).

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾﴿28﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: لَمَّا أمَرَ اللهُ تعالى بالحَجِّ في قَولِه: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ؛ ذكَرَ حِكمةَ ذلك الأمرِ، فقال

(لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) أي: لأجْلِ أن يَحضُرَ الحُجَّاجُ، فيُحَصِّلوا مَصالِحَ كَثيرةً لهم مِن أمورِ دينِهم ودُنياهم وآخِرَتِهم. موسوعة التفسير

قال الرسعني: (قال ابنُ عبَّاسٍ وأكثرُ المفسِّرينَ: يعني: التجارةَ والأسواقَ).

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((مَن حَجَّ هذا البَيتَ، فلم يَرْفُثْ (لجِماعٍ، أو الفُحشُ في القَولِ، أو خِطابُ الرَّجُلِ المرأةَ فيما يتعلَّقُ بالجِماعِ)، ولم يَفسُقْ؛ رجَعَ كيَومِ ولَدَتْه أُمُّه)) رواه البخاري.

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((العُمرةُ إلى العُمرةِ كفَّارةٌ لِما بيْنهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جَزاءٌ إلَّا الجنَّةُ)) متفق عليه.

(وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) أي: وليذكُرَ الحُجَّاجُ اسمَ اللهِ في أيَّامِ عشرِ ذي الحجَّةِ على ما رزَقَهم مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ. موسوعة التفسير

(فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) أي: فكُلوا مِنَ الأنعامِ التي ذكَرْتُم اسمَ اللهِ عليها، وأطعِموا منها مَن ساءت حالُه فاشتَدَّ به الفَقرُ، وضَرَّ به الجوعُ، فلا شيءَ له يُذهبُ جوعَه، ويرفعُ عنه ضرَّه. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: وأُدْمِجَ في هذا الحُكْمِ الامتنانُ بأنَّ اللهَ رزَقَهم تلك الأنعامَ، وهذا تَعريضٌ بطلَبِ الشُّكرِ على هذا الرِّزقِ بالإخلاصِ للهِ في العبادةِ، وإطعامِ المحاويجِ من عِبادِ اللهِ مِن لُحومِها، وفي ذلك سَدٌّ لحاجةِ الفُقراءِ بتَزويدِهم ما يَكْفيهم لعامِهم.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾﴿29﴾

(ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) أي: ثُمَّ لْيُكمِلِ الحُجَّاجُ ما بَقِيَ عليهم مِن مناسِكِ حَجِّهم؛ كرَمْيِ الجِمارِ، وحَلْقِ الرُّؤوسِ، ونَتفِ الآباطِ، وحلقِ العانةِ، والأخذِ مِن الشَّوارِبِ، وقَصِّ الأظفارِ، والطَّوافِ بالبَيتِ، وإزالةِ وَسخِ الأبدانِ. موسوعة التفسير

(وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ) أي: ولْيُوفِ الحُجَّاجُ بما أوجَبوه على أنفُسِهم في الحَجِّ. موسوعة التفسير

(وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أي: ولْيَطُفِ الحُجَّاجُ طَوافَ الإفاضةِ ببَيتِ اللهِ العتيقِ؛ الكعبةِ. موسوعة التفسير

قال الشنقيطي: (في المرادِ بالعتيقِ هنا للعلماءِ ثلاثةُ أقوالٍ: الأوَّلُ: أنَّ المرادَ به القديمُ؛ لأنَّه أقدمُ مواضِعِ التَّعبُّدِ. الثَّاني: أنَّ اللهَ أعتقَه مِنَ الجبابرةِ. الثَّالثُ: أنَّ المرادَ بالعتقِ فيه الكرمُ... وإذا عَلِمتَ ذلك

فاعْلَمْ: أنَّه قد دَلَّتْ آيةٌ مِنْ كتابِ اللهِ، على أنَّ العتيقَ في الآيةِ بمعنَى القديمِ الأَوَّلِ، وهي قولُه تعالَى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا الآية [آل عمران: 96]، معَ أنَّ المعنيينِ الآخَرينِ كلاهما حَقٌّ، ولكنَّ القرآنَ دَلَّ على ما ذكرنا، وخيرُ ما يُفَسَّرُ به القرآنُ القرآنُ).

**﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾﴿30﴾**

**(ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ)** أي: ذلك الذي أمَرَ اللهُ به مِن قَضاءِ التَّفَثِ والوَفاءِ بالنُّذورِ والطَّوافِ بالبَيتِ العَتيقِ: هو ما أوجَبَه اللهُ عليكم -أيُّها النَّاسُ- في حَجِّكم؛ فعَظِّموه، ومَن يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ، فيَجتَنِبْ ما أمَرَه اللهُ باجتِنابِه؛ تَعظيمًا منه لحُدودِ اللهِ أن يُواقِعَها أو يَستَحِلَّها- فهو خَيرٌ له عِندَ رَبِّه في دِينِه ودُنياهُ وآخِرَتِه. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: "أَيْ وَمَنْ يَجْتَنِبُ مَعَاصِيَهُ وَمَحَارِمَهُ وَيَكُونُ ارْتِكَابُهَا عَظِيمًا فِي نَفْسِهِ؛ فَلَهُ عَلَى ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَثَوَابٌ جَزِيلٌ".

وقال السعدي: (وحُرُماتُ اللهِ: كلُّ ما له حُرمةٌ وأُمِرَ باحترامِه بعبادةٍ أو غيرِها؛ كالمناسِكِ كُلِّها، وكالحَرَمِ والإحرامِ، وكالهدايا، وكالعباداتِ التي أمرَ اللهُ العبادَ بالقيامِ بها).

وقال السعدي: تَعظيمُ حُرُماتِ اللهِ مِنَ الأمورِ المحبوبةِ لله، المقَرِّبةِ إليه، التي مَن عَظَّمَها وأجَلَّها أثابَه اللهُ ثوابًا جَزيلًا، وكانت خيرًا له في دِينِه ودُنياه وأُخراهُ عِندَ رَبِّه.

**(وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ)** أي: وأَحَلَّ اللهُ لكم -أيُّها النَّاسُ- الإبِلَ والبَقَرَ والغَنَمَ أن تأكُلوها إذا ذَكَّيتُموها، إلَّا ما يُتلى عليكم تحريمُه في القُرآنِ؛ كالمَيْتةِ، والدَّمِ، ولَحمِ الخِنزيرِ، وما أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ به. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام: 145].

**(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)**

مُناسَبَتُها لِما قَبْلَها: قال ابن حيان: لَمَّا حَثَّ على تَعظيمِ حُرُماتِ اللهِ، وذكَرَ أنَّ تَعظيمَها خَيرٌ لِمُعَظِّمِها عندَ اللهِ؛ أتبَعَه الأمرَ باجتِنابِ الأوثانِ وقَولِ الزُّورِ؛ لأنَّ تَوحيدَ اللهِ ونَفْيَ الشُّركاءِ عنه، وصِدْقَ القَولِ؛ أعظَمُ الحُرُماتِ.

**(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)** أي: فاجتَنِبوا -أيُّها النَّاسُ- عِبادةَ الأصنامِ؛ فإنَّها قَذَرٌ، ومِن ذلك الذَّبحُ إليها وعِندَها. موسوعة التفسير

قال الرازي: لأنَّ وُجوبَ تَجَنُّبِها أوكَدُ مِن وُجوبِ تَجَنُّبِ الرِّجسِ، ولأنَّ عِبادَتَها أعظَمُ مِن التَّلوُّثِ بالنَّجاساتِ. أو وصفَها بذلك؛ استحقارًا واستِخفافًا.

ووَصَفَ الأوثانَ بـ(الرِّجْسِ) وهو رِجْسٌ مَعنويٌّ؛ لكونِ اعتقادِ إلَهيَّتِها في النُّفوسِ بمَنزِلةِ تَعلُّقِ الخَبَثِ بالأجسادِ.

**(وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)** أي: واجتَنِبوا -أيُّها النَّاسُ- كُلَّ قَولٍ باطِلٍ مائلٍ عن سَبيلِ الحَقِّ والاستِقامةِ، ومِن ذلك القَولُ على اللهِ بلا عِلمٍ؛ كتَحريمِ أكْلِ ما أحَلَّه اللهُ، أو تَحليلِ ما حرَّمَه. موسوعة التفسير

قال الرازي: جَمَع الشِّركَ وقَولَ الزُّورِ في سِلكٍ واحدٍ؛ لأنَّ الشِّركَ مِن بابِ الزُّورِ؛ لأنَّ المشرِكَ زاعِمٌ أنَّ الوَثَنَ تَحِقُّ له العِبادةُ، فكأنَّه قال: فاجتَنِبوا عِبادةَ الأوثانِ التي هي رأسُ الزُّورِ، واجتَنِبوا قَولَ الزُّورِ كُلَّه، ولا تَقرَبوا منه شَيئًا؛ لِتَماديه في القُبحِ والسَّماجةِ، وما ظَنُّك بشَيءٍ مِن قَبيلِه عِبادةُ الأوثانِ.

كما قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: 33].

وقال سُبحانَه: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) [الفرقان: 72].

وعن أبي بَكرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((ألَا أنبِّئُكم بأكبَرِ الكبائِرِ -ثلاثًا-؟ قالوا: بلى يا رَسولَ اللهِ، قال: الإشراكُ باللهِ، وعُقوقُ الوالِدَينِ. وجلس وكان متَّكِئًا، فقال: ألَا وقَولُ الزُّورِ، قال: فما زال يُكرِّرُها حتى قُلْنا: ليتَه سَكَت)) رواه البخاري.

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((مَن لم يَدَعْ قَولَ الزُّورِ والعَمَلَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدَعَ طَعامَه وشَرابَه)) رواه البخاري.

إن المؤمن الحق هو الذي يعظم حرمات الله، ويستشعر هيبته ويذعن لجلاله، ويخاف غيرته -تعالى- على حرماته، يقول -ﷺ-: "وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ"(البخاري)، قال شيخ الإسلام: "أول مراتب تعظيم الحق -عز وجل- تعظيم أمره ونهيه"، ولذا فإن التهاون بالذنب والمجاهرة بالمعصية والإصرار على الخطيئة، ليست من صفات من يعظم حرمات الله، يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا" أَيْ بِيَدِهِ فَذَبَّهُ عَنْهُ.

وإن من تعظيم حرمات الله -تعالى-: تعظيم حرمة المؤمن واحترام حقوقه وعدم النيل من كرامته والتعدي عليه، قَالَ -ﷺ-: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا".

واعلموا أن حرمة دم المؤمن عند الله أشد من حرمة الكعبة، كما ورد في سنن الترمذي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه نظر يوما إلى الكعبة فقال: "ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك"(الترمذي)، بل إن حرمة دم المسلم أعظم حرمة من الدنيا وما فيها، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ-قال: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم بغير حق"(الترمذي).

إن تعظيم شعائر الله وحرماته، مما حث الله عليه، وجعله من تقواه -سبحانه-: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)[الحج:32]، فهي طريق إلى الفلاح، وسبيل للنجاح، ودليل على الإيمان، ومعين على الاستقامة، قال ابن القيم: "الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي"، فلنعظم ما أمر الله أن يعظم، ولنعلم ان تعظيمنا لأمر عظمه الله ورسوله هو من تعظيمنا لله -تبارك وتعالى-.